عين المدينة

نبنيــها معاً

www.3ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

في المدينة...
- لقاح الموت في إدلب ص4
- أغنام دير الزور.. إلى العراق ص6
- في منبج: إعدامات وحظر تجوّل ص8
- انهيار العمل الإغاثيّ بدير الزور ص10
- فتنة داعش (2 من 3) ص14
- أحرار الشام: رحلة حياةٍ وموت ص15
- هجاء مقهى النازحين ص18
- صورٌ من أرض الخلافة ص19

عين المدينة | العدد (33) | 16 أيلول 2014

مجلة نصف شهرية مستقلة

دير الزور قبل عام

السوريّ المتشائم

نعم، قلق السوريين حول النوايا الأمميــة بمــحاربة تنظيــم «الدولة الإسلامية» مبرّرٌ، ومخاوفهم في محلها. فلا شيء يوحي بالثقة بمجتمع دوليٍّ كان شاهداً متحجّر القلب على حفلات قتلهم وتهجيرهم وخنقهم بالغاز. من فعل هذا كان بشار الأسد. والأولى في العقل وفي القانون وفي الأخلاق أن يعاقب هو أولاً، وقبل أن يعاقب المجرم الآخر المتمثل بالتنظيم. «ولكن أولويات السياسة شيءٌ غير هذا»؛ يقول المتحمسون لضرب التنظيم من «ساسة» المعارضة السورية. ويتوسع علماء السياسة هؤلاء بفائض من الشرح عن احتمال ما بتوسيع الضربة لتشمل مواقع ما لجيش الأسد ولو على سبيل الخطأ. أو، بالعكس، أن يقوم الأسد في مكانٍ ما في لحظةٍ ما بارتكاب حماقة. فيفور رأس العالم حينذاك بغضبة تقتلع هذا النظام من جذوره. والواقع أن لا شيء تأكد حتى الآن حول مصير النظام، بالرغم من استبعاده فعلاً من أيّة شراكة في حرب تنظيم الدولة. فمن يكون الخاسر الأكبر، والحال هذه، سوى السوريين المغلوبين على أمرهم، الذين يخشون أن تتناوب طائرات التحالف والأسد عليهم؟ ومن يكسب؟ هما حتماً التنظيم والنظام. فالأوّل سيكمن إلى أن يتسرّب الملل إلى مفاصل الطيارين الأمميين ثم ينقضّ من جديد، معزّزاً ببرهانٍ عمليٍّ على أن «ملة أعداء السنّة واحدة». والثاني سيتنفس الصعداء بزوال العاصفة ويستأنف، هو الآخر، أعماله الدموية بهمّةٍ أعلى وبرهانٍ عمليٍّ أيضاً على أنه «خير من يحارب الإرهاب».

ولكن، للثورة ربٌّ يحميها.

أمركيا تعدّ العدّة لضرب داعش...

وروسيا ترفض.. والأسد بلا موقفٍ محدّد

هيئة التحرير

تطوّرت المواقف الدولية بشكلٍ متسارع خلال الفترة الأخيرة تجاه الوضع السوريّ. لم يكن هذا التطوّر وليد هجماتٍ جديدةٍ شنها نظام الأسد على المدنيين، ولا نتيجة استخدام أسلحةٍ محظورةٍ دولياً، أو ارتفاع عدد القتلى، أو ثبوت استخدام نظام الأسد للسلاح الكيميائيّ وتكرار هذا الاستخدام مؤخراً في جوبر شرق دمشق، إنما هو تدخلٌ لوقف امتداد تنظيم الدولة الإسلامية في كلٍّ من العراق وسوريا. ولم تنسَ الإدارة الأمريكية، التي ستتزعم هذا التدخل أو ربما تقوم به منفردةً، أن تكسوه بغطاء تدخلٍ عامٍّ ضد كلٍّ من تنظيم الدولة الإسلامية ونظام الأسد. إلا أن ما تسرّب من خطط البنتاغون وخرائط الضربة التي من المتوقع تنفيذها لتشمل مواقع التنظيم في سوريا، يبين أن التدخل مؤطرٌ ضد مواقع التنظيم دون أهدافٍ من مواقع النظام. إلا أن مشروع الضربة ترافق مع تحريك قضية تسليح الجيش الحرّ أو كتائب معارضة معينة من قبل القيادة الأمريكية، بميلٍ واضحٍ من قبل الديموقراطيين في أمريكا نحو التسليح والدعم. ويبدو أن قضية التسليح والدعم تلك تتماشى مع قضية الضربة حالياً، لتظهر الإدارة الأمريكية بأنها تفتح جبهتين لمواجهة "دولتين"؛ الإسلامية في الشرق ونظام الأسد في دمشق، وهو ما قد لا يدعمه الواقع القريب.

وجاءت شروط نظام الأسد في قضية تدخل أمريكا ضد "الدولة الإسلامية" لتعزّز من موقف أوباما ضد نظام الأسد، أو ما يسوّق إعلامياً حول هذا الموقف. فما أوجبته من التنسيق مع النظام مسبقاً إذا فكرت أمريكا بالضربة لاقى تصريحاتٍ هجوميةً عند القيادة الأمريكية، عندما قالت مستشارة الأسد، بثينة شعبان، في تصريح لقناة cnn، بأن دمشق قد تسقط الطائرات الأميركية لأنها أتت من دون إذنٍ واعتدت على سيادة سوريا، وردّ أوباما بالقول: "إذا فكر الأسد وأمر قواته بإطلاق النار على الطائرات الأميركية التي تدخل المجال الجويّ السوريّ فسندمر الدفاعات الجوية السورية عن آخرها. وسيكون هذا أسهل لقوّاتنا من ضرب مواقع داعش".

بريطانيا لن تشارك، وتركيا تتحفظ، وروسيا ترفض

أمام خطاب أوباما، وتأكيد أن أمريكا سوف توجه ضربةً عسكريةً لمواقع تنظيم الدولة الإسلامية في سوريا والعراق، أعلنت الحكومة البريطانية أنها لن تشارك، تبعاً للتصويت السابق في مجلس العموم البريطانيّ، الذي رفض أيّ تدخلٍ عسكريٍّ لبريطانيا في الشأن السوريّ، وذلك عقب تهديداتٍ أمريكيةٍ بالتدخل العسكريّ بعد استهداف نظام الأسد للمدنيين في ريف دمشق بالسلاح الكيماويّ المحظور دولياً. وجاء إعلان بريطانيا رفضها التدخل على لسان وزير خارجيتها فيليب هاموند، الذي أعلن من العاصمة الألمانية برلين أن "بريطانيا لن تشارك في ضرباتٍ جويةٍ في سوريا".

وتحفظت القيادة التركية تجاه الحشد الدوليّ الذي تسعى نحوه أمريكا لتوجيه الضربة، مبررةً ذلك بأنه لا فائدة من ضرب تنظيم الدولة الإسلامية مع الحفاظ على نظام الأسد في دمشق. وقال رئيس الوزراء التركيّ، أحمد داود أوغلو، متناولاً خطة أوباما بالتدخل: "حذّرنا الجميع سابقاً، بمن فيهم واشنطن والأسد، من أنه من دون إنهاء الأزمة في سوريا وعودة الاستقرار السياسيّ، فإن المنطقة ستتحوّل إلى بركان غضب".

ومن جانبها عارضت روسيا الضربة، معتبرةً أن أية ضرباتٍ أميركيةٍ ضدّ تنظيم "داعش" في سوريا من دون موافقة الأمم المتحدة ستشكل "انتهاكاً فاضحاً" للقانون الدوليّ. وجاء ذلك على لسان المتحدث باسم الخارجية الروسية، ألكسندر لوكاشيفيتش، الذي صرّح "أن مثل هذه المبادرة، في غياب قرارٍ من مجلس الأمن الدوليّ، ستشكل عملاً عدائياً وانتهاكاً فاضحاً للقانون الدوليّ".

الثوّار قريباً من دمشق..
والهُدَن باتت بإدارة الفصائل المعارضة لا النظام

هيئة التحرير

جاء ردّ الثوّار سريعاً على سيطرة قوّات النظام على بلدة المليحة في ريف دمشق، وهي المدخل الرئيسيّ نحو الغوطة الشرقية، المساحة الأكبر التي تخضع لسيطرة الثوّار في محيط العاصمة. فقد حقق الثوّار تقدماً شرق العاصمة من خلال سيطرتهم على أجزاء من حيّ الدويلعة وعلى الدخانية وتقدمهم على طريق جرمانا وسيطرتهم على الحيّ الشرقيّ منها. ومن جهة الجنوب تقدّم الثوّار نحو خان الشيح والمزارع المحيطة، بعد إتمام السيطرة على القنيطرة ومحيطها، باستثناء مدينة خان أرنبة ومدينة البعث وبلدتي الخضر وجبا، ما يعتبر بمثابة حصار جزئيٍّ لدمشق من خلال إخضاعها لتهديدات القذائف الصاروخية، إضافةً إلى التهديدات اليومية باقتحامها.

ويأتي هذا التقدّم بعد قصف شديدٍ لقوّات النظام على حيّ جوبر ملحقاً به دماراً هائلاً، وسط اتهاماتٍ باستخدام الغازات السامة، بحسب مصادر الثوار.

وسُجّلت خلال الأيام الماضية عدّة مواجهاتٍ في عمق العاصمة بتقدّم عناصر من الجيش الحرّ باتجاه حيّي الميدان والزاهرة، بما يشبه عمليات الكرّ والفرّ السريعة هدفها استنزاف قوّات النظام في الخاصرة الشرقية والجنوبية، والتي من المتوقع أن تشنّ الهجمات من خلالها مع بدء التقدم نحو العاصمة، الذي أعلنت عدّة كتائب معارضةٍ عن اقترابه.

هُدَنٌ بالتتالي والثوّار يهدّدون بالخرق

كانت هدنة داريا هي الأوضح خلال الأيام الماضية. وقد فرض فيها الثوّار شروطهم على النظام بعد أكثر من عام من مفاوضاتٍ متقطعةٍ بين الطرفين، وبعد صمودٍ كبيرٍ أبداه ثوّار المدينة أمام هجماتٍ كثيرةٍ لقوّات الأسد وعمليات قصفٍ متواصلٍ وحصارٍ خانق، اذ شارك الآلاف من جنود الفرقة الرابعة والحرس الجمهوريّ في هذه الهجمات، دون أن يتمكنوا من السيطرة على المدينة ذات الموقع الاستراتيجيّ الهام في محيط دمشق؛ إذ تجاور مطار المزة العسكريّ ومقر المخابرات الجوية، وتقابل مساكن الضباط في حيّ السومرية، أحد المعاقل الكبرى لمؤيدي النظام.

غوطة دمشق - لواء الحبيب المصطفى

إلا أن هذه الهدنة، ورغم التوقيع الرسميّ عليها، ما تزال موضع جدل، وخاصةً مع انعدام الثقة بين الجانبين. وقد هدّد الثوّار بعدم الالتزام بها في حال أخلّ النظام بأيّ بندٍ من بنودها. وتأتي الهدنة في إطار سياسةٍ عسكريةٍ خاصةٍ حرص النظام على اتباعها في دمشق، تهدف إلى تحييد البؤر الثائرة بوقف إطلاق النار والسماح للمساعدات الإنسانية بالوصول إلى المناطق المحاصرة، كما حدث في برزة والمعضمية وأحياء جنوب دمشق.

ومن جانبٍ آخر جاءت هدنة الوعر في حمص على غرار هدنة برزة في دمشق، إذ يتولى فيها الثوار المتمترسون داخل الحيّ مسؤولية حفظ النظام والطرقات، ولا تدخله قوّات النظام بشكلٍ رسميّ. إلا أن التوقيع النهائي عليها ما زال بين أخذٍ وردٍّ بين مندوب رئاسة الجمهورية للتفاوض، بسام الحسن، وبين قادةٍ ورجال ذوي شأنٍ محليٍّ في حيّ الوعر الذي يسكنه أكثر من نصف مليون مدنيّ، أغلبهم نازحون من الأحياء الرئيسية في حمص، والتي تعرّضت للدمار نتيجة القصف.

حزب الله: إصرارٌ جديدٌ على البقاء في سوريا

لم تكن معارك عرسال الأخيرة وأسر جنودٍ لبنانيين من قبل جبهة النصرة لتردع حزب الله اللبنانيّ عن القتال في عدّة مناطق من أرياف دمشق وحمص وحلب. فقد صرّح نائب رئيس المجلس التنفيذيّ في الحزب، نبيل قاووق، أن قوّات حزب الله لن تخرج من سوريا، معتبراً أن المرحلة تفرض على الحزب ذلك أكثر من أيّ وقتٍ مضى.

ولفت قاووق إلى أن حرب حزب الله في سوريا هي حربٌ ضد تنظيم الدولة الإسلامية والفصائل التي وصفها بالتكفيرية، قائلاً: "إن ما بيننا وبين داعش وكلّ التكفيريين لا يمكن أن يكون حرباً كلامية، بل إن ما بيننا وبينهم هو الميدان فقط الذي نهزمهم ونسحقهم فيه. فلن نستدرج إلى حرب بياناتٍ معهم ولا إلى سجالاتٍ سياسية".

مأساة الحصبة...
لونٌ جديدٌ للموت يختبره السوريون

ليلى الظاهر

لم يخطر في ذهن والدة محمد وهي تستضيف فريق لقاح الحصبة، وتراقب طفلها وهو يتلقى اللقاح، أن تلك الحقنة ستكون آخر عهده بالدواء. نصف ساعةٍ كانت كافيةً لتشعر أن طفلها ليس على ما يرام، إنه يحاول التشبث بأنفاسٍ بدأت تتقطع ثم تتفلت منه.

في المشفى أدركت أن عشرات الأطفال مثل طفلها، يعانون من إسهالٍ شديدٍ وقصورٍ تنفسيٍّ حادّ. ويجمع بينهم أن جميعهم من جرجناز، وجميعهم أيضاً تلقوا في الصباح لقاحاً ضد الحصبة.

"قبل هذه المأساة بأيام قليلة بدأت حملة اللقاح، في الخامس والعشرين من آب 2014"؛ حسبما ذكر مسؤولٌ في وزارة الصحة رفض ذكر اسمه، "وشملت الحملة المخيمات في سبع محافظاتٍ سوريةٍ، لُقّح خلالها 42 ألفاً و500 طفل. وبدأت جولتها الثانية يوم الاثنين في الخامس عشر من أيلول، دون أيّة عوائق إلى أن وردت أنباءٌ عن وفيات بين الأطفال الملقحين في المنطقة صباح يوم الثلاثاء، وذلك في شرق معرة النعمان، جرجناز، سنجار، شيخ بركة، أم مويلات. ووصل عدد الوفيات إلى 15 طفلاً، بالإضافة إلى 50 طفلاً مصاباً".

وحول تعامل الحكومة المؤقتة مع هذه القضية أكد فريق عمل الحصبة في بيانٍ "أن تحقيقاً ميدانياً بدأ بعد الكارثة مباشرةً، بأخذ عينات دم وبول من المصابين وإرسالها إلى المخابر الرسمية التركية. وشُكلت لجنة تحقيق بإشراف وزارة الصحة ومشاركة وزارة العدل، وبرئاسة القاضي خالد الحلو، وتضمّ ثلاثة أعضاء مستقلين لا علاقة لهم بالحكومة السورية المؤقتة".

فساد اللقاح كان الاحتمال الأكبر الذي رجّحه الكثير من أهالي المنطقة"، وفقاً للدكتور رامي عليوي أخصائي أمراض الأطفال. إلا أن الدكتور عليوي نفى ذلك، مبيناً أن "مرض الحصبة، تاريخياً، لم يشهد أبداً هذا العدد الكبير من الصدمة التحسّسية. فالنسبة الطبيعية لمثل هذه الصدمة هي واحد لكلّ مليون طفل. وإن فساد اللقاح أو انتهاء صلاحيته يؤدّيان إلى بطلان مفعوله ولا يسببان الوفاة.

الأتراكوريوم في ترامس اللقاح

ولعرض النتائج الأولية للتحقيق دعت الحكومة السورية المؤقتة إلى مؤتمرٍ صحفيٍّ كشف فيه رئيس الحكومة، الدكتور أحمد طعمة الخضر، أن الوفاة جاءت نتيجة خطأ بشريٍّ لم يُثبت التحقيق بعد إن كان له أيّ بعدٍ جنائيّ. إذ تبين وجود أمبولاتٍ من دواءٍ يدعى الأتراكوريوم في أحد الترامس التي استعملت في ناحية سنجار. أي أن الأتراكوريوم – وهو مرخي عضلي يُستعمل في التخدير الجراحيّ، يسبّب فقدان قدرة الإنسان على التحكم بعضلاته الإرادية ويشلّ العضلات اللاإرادية – استعمل كمذيبٍ عوضاً عن المذيب المخصّص للحصبة. كما أكّد طعمة أن وزير الصحة، عدنان حزوري، وضع استقالته بتصرّف رئيس الحكومة إثر هذه الحادثة.

وعمّا إذا كانت هناك إجراءاتٌ قانونيةٌ بحقّ المقصّرين، "أُوقف الجيش الحرّ، بأمرٍ من الهيئة الشرعية، خمسةً من المسؤولين المباشرين عن عملية اللقاح"، بحسب علاء الدين الناصر، وهو من أبناء جرجناز.

قضية وفاة أطفال جرجناز ليست حادثةً معزولة، بل يعتقد الناصر أن "آلافاً مثلهم سيكونون في المستقبل القريب عرضةً للخطر بين نظام لا يعترف بحقّهم في الرعاية الصحية، ومعارضة تحتاج وقتاً طويلاً قبل أن تبني ثقة الناس بها مجدّداً".

بلغ عدد حالات مرض الحصبة المبلّغ عنها، حسب وزارة الصحة في الحكومة السورية المؤقتة، 8300 حالةٍ في الفترة ما بين الأسبوع الوبائيّ 30 من العام 2013، والأسبوع 28 من العام 2014.

بدأ اللقاح في المرحلة الأولى 25-8-2014. وشملت الحملة 42 ألفاً و500 طفل.

بدأت المرحلة الثانية 15-9-2014 في يومها الأول. وشملت 15,000 طفلاً في دير الزور، وحوالي 12,000 في إدلب، 1,500 طفلاً منهم في مركز جرجناز وحده.

أطفال من جرجناز بعد التلقيح – قناة العربية

المتسوّلون في عينتاب... اعتياد التشرّد وافتراش الأرصفة

هنادي عبد الوهاب

ثمانية أشخاص يفترشون الأرض أمام كراج عينتاب، وطفلان يحبوان. تلتفت إليهما إحدى النسوة بين وقتٍ وآخر. عددٌ كبيرٌ من الحقائب وأكياس النايلون تتناثر حولهم. كانوا يتجادلون حول الوجهة الأفضل لرزقهم. ردّوا بعنفٍ على اقتراح أحدهم بأن يذهب كلٌّ منهم حيث يشاء. وبعد جدلٍ توصلوا إلى تحديد الوجهة: أورفة؛ ردّدها أكبرهم سناً وكأنه يحسم النقاش.

فاطمة، إحدى نساء المجموعة والأقرب إليّ مكاناً، أجابتني بصوتٍ أقرب إلى الهمس: "من حلب"، حين سألتها "من أين أنت؟ وماذا تفعلين هنا؟". غادر أقاربها مدينة إسطنبول بسبب تهجير العديد من العائلات إلى مخيماتٍ حديثةٍ شرق الأناضول، والتقوا هنا للبحث عن وجهةٍ جماعيةٍ جديدة. "نحن ننام هنا منذ يومين بانتظار حماتي التي ستصل اليوم إلى عينتاب. أنا ووالد زوجي فقط نعرف المنطقة، لأننا سبقناهم إلى هنا بعدّة أشهر. نحن في العادة نتنقل على شكل مجموعاتٍ، ولا نفترق إلا في ساعات الصباح حين نسعى وراء رزقنا. توفي زوجي في حلب. وأهلي غادروا إلى مصر بعد قدومهم إلى تركيا. لم تطب لهم الحياة هنا، شأنهم شأن الكثير من القرباط . "في مصر الناس تفهم اللغة العربية التي نتقنها"، هذا ما قاله والدي وهو يأمر أفراد عائلتي بالاستعداد للسفر. أمي، التي تحب قراءة الطالع، أكدت أنها ستكون مرتاحةً في مصر أكثر. غادروا إلى مصر عن طريق قناة السويس، وأقاموا مخيماً لهم على أطراف مدينة نصر".

أسندت فاطمة رأسها إلى عمودٍ معدنيٍّ على الرصيف. ودون تفكيرٍ تحدثت: "لم نتمكن من البقاء في مكانٍ واحد، وهذه أول مشكلةٍ واجهتنا. نحن معتادون على البقاء معاً، وهذا ما لم نستطع أن نقوم به هنا. لا يمكن أن نجد مكاناً في مدينةٍ واحدةٍ وننصب فيه 40 أو 50 خيمة، وهو ما أجبرنا على التفرّق داخل تركيا وخارجها. أما الأمر الثاني فيتمثل في أن القرباط في تركيا لا يجيدون غير التسول. في سوريا كنا نقرأ الطالع ونعالج الأسنان ونصنع أوتار الآلات من أمعاء الحيوانات، وكثيرون منا يمتهنون الرقص والغناء. هنا لا عمل لنا إلا التسوّل. نحن نتحدث باللهجة الحلبية، أي أننا سوريون والناس تتعاطف معنا. في الأشهر الأخيرة بدأ هذا التعاطف يختفي، وهم الآن يسعون لاعتقالنا وحشرنا في المخيمات. نحن معتادون على الحرية وعلى نمط حياةٍ لا يتناسب مع الأسر من جهة، ومن جهةٍ ثانيةٍ قد لا نكون في مخيمٍ واحدٍ مع بقية أفراد عائلتنا".

تركتُ الكراج وتوجهت إلى سوق التشارشي. العديد من النسوة كنّ يهربن مني حين يرتطمن بالأسئلة، ولكن أم مصطفى كانت أقلّ تحفظاً. رافقتها وهي تبحث عن كيسٍ من النايلون تضع فيه النقود التي تأمل أن تجنيها من المصلّين. ويبدو أن هاجس الشرطة لم يغب عن ذهنها لأنها ظلت تتلفت يميناً ويساراً، تحضيراً للحظة الهروب التي تتكرّر عدّة مرّاتٍ في اليوم الواحد. وبالرغم من أنها تعتبر نفسها ماهرةً في الهرب، مقارنةً بغيرها، إلا أنها تحدثت بكثيرٍ من الخوف عن المرّات العشرين التي اعتقلت فيها، ولحظات الرعب التي عاشتها في المرّة الأولى. تقول بصوتها المنخفض: "حين يتمّ اعتقال أحدنا تعمل الشرطة على نقله إلى الحجز. ولكن، قبل دخول الحجز يتمّ تفتيشنا بدقةٍ شديدة، وأخذ كلّ ما جنيناه خلال النهار. ولسوء حظي كثيراً ما يتمّ الإمساك بي في المساء. يتمّ الاحتجاز لمدة ساعتين أعود بعدها إلى الشارع للحصول على رزقي مجدّداً".

وفيما يتعلق بتعامل الشرطة معها ومع مثيلاتها، أكدت أن الأمر يختلف من منطقةٍ إلى أخرى في غازي عينتاب؛ ففي بعض المناطق يتمّ الاعتقال بطريقةٍ عنيفةٍ ويتمّ التفتيش بطريقةٍ مهينة، وقد توجه إليهنّ الشتائم في بعض الأحيان، وفي مناطق أخرى يتعاملون معهنّ بنوعٍ من الشفقة وشيءٍ من الغضب.

أسئلةٌ كثيرةٌ لم يمهلني الشرطيّ، الذي بدأ بالركض خلف أم مصطفى وأولادها، لأطرحها، فتركتها معلقةً في رأسي وغادرت تشارشي.

"الابتزاز العراقيّ" يستنزف سوق ماشية دير الزور

فراس العمري

شهدت أسواق الماشية في دير الزور هبوطاً حاداً في الأسعار وصل إلى 50%، بحسب تجّارٍ محليين. وعزا بعضهم هذا الانحدار إلى ندرة الأعلاف، بينما أعاد البعض السبب إلى الوضع الأمنيّ وارتفاع سعر المازوت، فيما اتفقوا على أن المستفيد الأكبر هم التجّار العراقيون.

تجّارٌ جدد في السوق..

منذ مطلع تموز 2014 أكمل تنظيم الدولة الإسلامية سيطرته على معظم المنطقة الشمالية الشرقية من البلاد، حتى الحدود العراقية. يتحدث أبو أحمد، وهو تاجر ماشيةٍ في سوق الميادين، عن التجّار العراقيين وتواجدهم المكثف في أسواق المنطقة. تلمس في نبرة كلامه عدم رضا عن الضيوف الجدد، لاستخدامهم مهاراتهم لكسر السعر، مستغلين -حسب رأيه- حالة الكساد جرّاء انقطاع الطرق مع الداخل السوريّ والشمال الغربيّ، مع استمرار الاشتباكات بين تنظيم الدولة وفصائل المعارضة في ريف حلب الشماليّ. فالنعجة التي كان أبو أحمد يبيعها بـ 40000 ليرةٍ لا يتجاوز سعرها 25000 اليوم. أما أبو خالد، التاجر العراقيّ من الأنبار، فيبدي ارتياحه للوضع: "بعد فتح الدولة الإسلامية الطريق إلى سوريا سهلت علينا مشقة الرحلة. فبين القائم العراقية والميادين 100 كم، فيما تتجاوز المسافة إلى البصرة ومناطق الجنوب في العراق -حيث تتركز تجارة المواشي- 650 كم. ولا يخلو الطريق من المخاطر مع وجود الميليشيات الطائفية".

أما عند سؤاله عن اتهام السوريين له بالابتزاز فلا يخفي ابتسامته قائلاً: "يا عمّي التجارة شطارة".

توقّف المطاحن وارتفاع سعر المازوت وراء نقص الأعلاف

عزا أبو أحمد ترك بعض التجار للمهنة إلى قلة الأعلاف وارتفاع أسعارها إن توافرت، بعد انسحاب جبهة النصرة والجيش الحرّ من المنطقة، اللذين كان لهما الفضل في تشغيل المطاحن المزوّدة للسوق بالأعلاف. يضاف إلى ذلك الارتفاع الأخير في سعر الوقود، ما أدّى إلى إحجام عددٍ من سائقي الشاحنات، التي تنقل الأعلاف من الحسكة إلى دير الزور، عن العمل.

يقول خضر، وهو سائق شاحنةٍ ممّن توقفوا عن جلب الأعلاف من الحسكة: "سعر برميل المازوت تضاعف بالفترة الأخيرة من 6000 إلى 12000 ليرة"، ما يجعل نقل الحمولة خاسراً. إضافةً إلى الخطورة التي أشار إليها خضر، جرّاء المعارك المتواصلة في محيط الحسكة. فعلى كل حاجزٍ، ولأيّة جهةٍ مقاتلةٍ (دولة أو بشار أو بي كي كي)، هناك احتمال أن تصادر الشاحنة بتهمة التعامل مع الطرف الآخر.

الاقتتال في مناطق سيطرة التنظيم يقلق التجّار

قبل أكثر من شهر بدأت اشتباكاتٌ بين من يعرفون بالشعيطات، وهم سكان ثلاث بلدات متجاورةٍ يتجاوز عددهم 100 ألفٍ، من جهة، وتنظيم الدولة الإسلامية من جهةٍ أخرى. انتهت المعارك بسيطرة التنظيم. ونتج عن ذلك مئات القتلى والمفقودين من الشعيطات، وسوقٌ جديدةٌ بيعت فيها بعض ممتلكات من سمّاهم التنظيم بالمرتدّين. فالمواشي المسلوبة من القرى التي اقتحمتها "الدولة" بيعت "بأبخس الاثمان" بحسب أبو أحمد، وجعلت الكثير من التجار يخشى على ما لديه من ماشيةٍ خوفاً من تكرار ما حصل.

التجّار يترقبون الأضحى..

عيد الأضحى مناسبة تسويق كبيرةٌ يمكن لها أن تعدّل الأسعار، ولو بشكلٍ طفيفٍ، كما يأمل البعض. وفي مقارنةٍ أخرى لم تنخفض أسعار اللحوم كثيراً في أسواق دير الزور، وما زالت فوق القدرة الشرائية لمعظم السكان. فالكيلو الواحد من لحم الضأن يباع بـ 1700 ليرة. وهو رقمٌ كبيرٌ يعجز الكثيرون عن تأمينه، بحسب أحد الجزّارين في الميادين.

لم نستطع الحصول على إحصائياتٍ بخصوص الثروة الحيوانية في سوريا إلا من مصادر تابعةٍ لحكومة الأسد، التي قدّرت قيمتها بـ 3.17 مليار دولار في العام 2012، أي ما يعادل ربع ميزانية هذه الحكومة لنفس العام. وبحسب المهندس الزراعيّ عامر: "تعاني الثروة الحيوانية في سوريا اليوم من مشاكل كبرى تهدّد وجودها باستنزافٍ كبيرٍ ولأسبابٍ عدّة، مما قد يحوّل سوريا في السنوات القادمة إلى مستوردٍ لهذه الثروة".

رأي أهالي الرقّة بالقرار الأمريكيّ بضرب مواقع تنظيم "الدولة الإسلامية"

كمال الفواز

مرةً أخرى تعود الرقة إلى الأنظار، بعد موجاتٍ سابقةٍ من الاهتمام بها كان أوّلها يوم تحرير المدينة قبل عام ونصف، ثم عند هزائم النظام الكبرى في الأشهر الماضية هناك، وآخرها ما يتردّد الآن عن نية الولايات المتحدة الامريكية ضرب مواقع تنظيم "الدولة الاسلامية" في سوريا وفي الرقة على وجه الخصوص كونها عاصمةً إقليميةً لهذا التنظيم. لتصبح هذه الضربة المحتملة حديث الشارع الرقاويّ هذه الأيام، ومصدر قلقٍ إضافيٍّ له، وسبباً لموجة نزوحٍ جديدةٍ للسكان.

رغم الظروف الأمنية الخطرة، والتعتيم الكبير الذي يفرضه التنظيم على المدينة، بمنع الناشطين الإعلاميين والصحافيين من القيام بأعمالهم؛ استطاعت "عين المدينة" مقابلة 100 شخص من أهالي المدينة، بطرائق مختلفة، وطرحت السؤال التالي على كلٍّ منهم: هل تؤيد الضربة الأمريكية المحتملة على مواقع "الدولة الإسلامية" في الرقة؟ ولماذا؟ فأجاب 56 شخصاً بأنهم يؤيدون أيّ عملٍ عسكريٍّ من جانب الولايات المتحدة ضدّ مواقع التنظيم، كرهاً له. ورفض 26 هذه الضربة، تأييداً لتنظيم الدولة، بدوافع مختلفة. ورفض 18 آخرون الضربة أيضاً، بالرغم من عداوتهم المضمرة للتنظيم، لانعدام الثقة في السياسات الأمريكية في سوريا.

فأيّد حمزة، وهو طالبٌ جامعيٌّ سابقٌ، قرار أمريكا المحتمل: "أنا أؤيد القرار الأمريكي بضرب مواقع تنظيم الدولة الإسلامية، لأننا اختنقنا من سوادهم وأرهقونا بقوانينهم وقمعهم لنا، وفرض سلطتهم بيدٍ من حديدٍ بدون رحمة. وقتلوا كثيراً من الثوّار ومن عناصر الجيش الحرّ ومن المدنيين لتعاطفهم مع الثوّار أو لعلاقةٍ معهم بحججٍ باطلة، فقط ليرهبوا الناس وكي لا يجرؤ أحدٌ على معارضتهم".

و"داعش"، بحسب حمزة، أغلقت الجامعات وأرهبت الناس كما أرهبهم بشار الأسد. ولا يخشى هذا الشابّ على السكان المدنيين من الضربات الأمريكية: "المدني ما يموت إلا يكون خلصان عمره. كلّ قمع بدنا نخلص، انخنقنا. بدنا نعيش مثل كل هالناس".

ورفض عماد، وهو شابٌّ معجبٌ بإنجازات "داعش" في محاربة الجريمة، النوايا الأمريكية. فهو يرفض محاربة "الدولة الإسلامية" من قبل أية جهةٍ أو دولة: "أنا أعارض القرار الأمريكيّ، وأعارض أيّ تحالفٍ دوليٍّ أو عربيٍّ ضدّ الدولة الإسلامية، فهم مسلمون مثلنا ويحكمون بشرع الله ويقيمون الحدود التي أنزل الله. نشروا الأمان في مناطقهم، فلم تعد هناك جرائم قتلٍ وسرقةٍ وخطفٍ كما كان من قبل". وأضاف عماد: "الدولة حرّرت الفرقة 17 واللواء 93 ومطار الطبقة. ولو الغرب وأمريكا والعرب يريدون مصلحتنا كانوا ضربوا بشار وعصابات إيران الشيعية اللي قتلت مئات الآلاف من الناس وشرّدت ملايين والعالم يتفرّج". ويلخّص عماد رأيه بأن أمريكا تحارب الإسلام والمسلمين فقط. ويبدي عزمه على "القتال بجانب الدولة في حال أقدمت أمريكا على ضربها".

وأما أبو محمد، وهو أحد مؤسّسي حملة (#الرقة_تذبح_بصمت)، فقد رفض النوايا الأمريكية، بالرغم من عدائه الشديد لتنظيم الدولة. ويفسّر موقفه هذا بالقول: "نحن قمنا بالثورة من أجل الحرية والكرامة والمساواة والديموقراطية، فلم نكن نريد أن نتخلص من حكم ديكتاتوريٍّ ليحكمنا حكمٌ مستبدٌ متنكرٌ بالدين الإسلاميّ، والدين الحنيف براءٌ منه. ولكن، في نفس الوقت، أنا أرفض القرار الأمريكيّ لأن سياسة أمريكا هي من يصنع فزّاعة الإرهاب، فصنعت تنظيم الدولة بطريقةٍ غير مباشرةٍ لترهق الثورة، ولتأتي بصفة المخلّص ليكون لها نفوذٌ في سورية، ولتفرض سياستها ومطالبها على الثوّار".

وتساءل أبو محمد: "لماذا لم تقرّر أمريكا ضرب النظام والمليشيات الشيعية الإيرانية والعراقية وحزب الله، الذين يقاتلون في سوريا منذ 3 سنوات وقاموا بأبشع المجازر والجرائم؟! وجود هؤلاء واستمرارهم في إجرامهم هو سبب ظهور تنظيم الدولة. وكانت أمريكا قادرةً على إنهاء التنظيم قبل أن يقوى لو أنها سلّحت الجيش الحرّ أو سمحت بتسليحه أو بشرائه للأسلحة النوعية".

وأضاف: "أنا لا أثق بأمريكا، فهي لن تنهي وجود تنظيم الدولة ولن تضرب مواقع للنظام. سوف تقتل مدنيين وتخلف فوضى وذعراً وتشريداً للأهالي بضرباتها، كما فعلت في العراق. (واللي يجرب مجرّب يكون عقلو مخرّب)".

من مشاهد الريف الحلبيّ المحكوم بتنظيم الدولة:

حظر تجوّلٍ وإعداماتٌ ميدانيّةٌ ونـزوح الأهالي

ميلاد بهنو

منذ أن تصاعدت المواقف الدوليّة، التي انتهت إلى اتخاذ قرارٍ ضرب المراكز الأمنيّة التابعة لتنظيم الدولة الإسلاميّة في كلٍّ من العراق وسوريا، بدأ الأهالي يهاجرون مدنهم بحثاً عن مكانٍ آمن. ويعيش من تبقّى في المدن المسيطر عليها من قبل التنظيم اليوم حالةً كبيرةً من القلق والتخوّف، خاصّة بعدما ثبت تحليق طائرات استطلاعٍ أمريكيّةٍ فوق ريف حلب، حسبما ذكر ناشطون.

حظر تجوّل

منذ أن بدأت الطائرات الأمريكيّة تحلّق فوق السماء السوريّة غيّر تنظيم الدولة الإسلاميّة من طريقة إدارته لبعض المناطق. ففي ريف حلب فرض التنظيم حظراً للتجوّل، أبلغ الأهالي به عن طريق الجوامع، يبدأ كلّ يومٍ من بعد صلاة العشاء وحتّى الساعة السابعة صباحاً.

الغريب في الأمر هو تغيّر الحركة الأمنيّة، بحسب شهادات بعض أهالي منبج، الذين رفضوا الافصاح عن هوياتهم، وقالوا إنّ سيّارات "الحسبة" -تقوم بمهام الشرطة- لم تعد تتجوّل في شوارع المدينة كما كانت تفعل سابقاً، كما لم تعد مراقبة الناس وأمرهم بالتوجه الى المساجد في أوقات الصلاة صارمةً كما في السابق.

أيمن، ابن مدينة منبج، تحدّث لـ"عين المدينة" عن حركة التنظيم في الشوارع في الأيّام الماضية قائلاً: "خلال الأسبوع الماضي قام التنظيم باعتقال عددٍ قليلٍ من الناس مقارنةً بالسابق، فقط بضعة شباب في حيّ الجزيرة لارتدائهم ثياباً ضيقة. وفي هذه الأيام يبدو أنّ عناصر التنظيم خفّت حركتهم في الأسواق، خاصّة أنّنا اعتدنا عليهم سابقاً وهم يرتادون المطاعم ومحالّ بيع الهواتف النقّالة..".

إعدامٌ وصلب

فوجئ الأهالي قبل أيام بحادثتي إعدام وصلب لاثنين من أبناء منبج، كلّ واحدٍ منهما في مكانٍ مختلف؛ هما حسين البنشي وإبراهيم علي. وحمل كلٌّ منهما تهمةً مختلفة؛ فالأوّل كانت تهمته أنّه عنصرٌ من الجيش الحرّ، قاوم التنظيم وقت دخوله إلى المدينة، وتمّ اعتقاله مؤخراً بعدما وشى به أحد الموالين للتنظيم من منبج. اعتقلوا البنشي بسيّارةٍ سوداء ومعها أربع سيّارات مرافقة. وعندما أرادوا ذبحه حاول مقاومتهم، فأطلقوا عليه النار وأردوه قتيلاً. كلّ هذا حدث أمام جمعٍ من الناس.

أمّا الآخر فقد استيقظ أهالي حي الحزاونة بمنبج على جثّته وهو مذبوحٌ ومصلوبٌ في منتصف الحيّ. وبرّر عناصر التنظيم عملية القتل هذه بحجة أنه "شيعيٌّ" ينتمي إلى حزب الله، فيما كذّب بعض السكان هذه التهمة، مؤكّدين أن الرجل يتحدر من قرية الرمانة القريبة من منبج ناحية الغرب.

نزوحٌ جماعيٌّ

كان للتصريحات السياسيّة التي توعّدت التنظيم بضرباتٍ موجعةٍ أثرٌ كبيرٌ في نفوس المدنيين، ممّا دعا الكثير منهم إلى حسم القرار بالرحيل. وسجّل الأسبوع الماضي نزوح عشرات العائلات إلى تركيا، في حين قرّرت عائلاتٌ أخرى التوجّه إلى القرى المحيطة بمنبج، كونها أكثر أماناً من السكن في المدينة المهدّدة بالغارات الجوية في أية لحظة.

يفسّر أبو علي، وهو من سكان منبج، سبب نزوحه وعائلته إلى مدينة غازي عنتاب التركية: "لمّا سمعنا أنّ الضربات العسكريّة بحقّ تنظيم الدولة اقتربت، بدأتُ والعائلة نفكّر بالنزوح، بسبب موقع منزلي الجغرافيّ القريب من أحد مقرّات التنظيم، وهذا ما يثير قلقي كلّ لحظةٍ هناك". وأردف كلامه: "لم ننزح وحدنا، فقد خرجتُ مع أقربائي وصديقين لي مع عوائلهم. حاول عناصر التنظيم منعنا من الخروج من المدينة في البداية، ثم ما لبثوا أن سمحوا لنا بذلك. ولم نستطع اجتياز الحدود تهريباً إلا بعد منتصف الليل، بسبب تشديد البوليس التركيّ على معابر التهريب في هذه الأيام".

وتوحي تصرّفات عناصر التنظيم تجاه النازحين عن مناطق سيطرتهم في ريف حلب الشماليّ، وكذلك ملاحقتهم للمهرّبين على الحدود، بأنهم يحاولون فرض ما يشبه الإقامة الجبرية على من تبقى من السكان، في ظل التهديدات الغربية بضرباتٍ جويةٍ على مواقع التنظيم.

إقامة حد في منبج

بعد المعاناة... مياهٌ نظيفةٌ لأهالي الشميطية

خليل عبد الله

نجح مجلس الشميطية المحليّ في تشغيل محطة تصفية المياه، بعد عملٍ مضنٍ بذله أعضاء هذا المجلس في مشروعٍ يؤمّن المياه الصالحة للشرب لعشرات الآلاف من سكان هذه البلدة وجوارها.

لم يكن الهاجس الأمنيّ في المناطق التي تتعرّض للقصف هو المعاناة الوحيدة للسكان في محافظة دير الزور. ففي ريفها الغربيّ، وبالتحديد في بلدة الشميطية وما يجاورها من قرى "زغير شامية" و"الخريطة جبل"، يعيش 45 ألف نسمةٍ في ظلّ نقصٍ حادٍّ في مياه الشرب، بعد تراجع الطاقة الإنتاجية لمحطة الطريف، كما ذكر ناشطون محليون. مما دفع المجلس المحليّ لبلدة الشميطية إلى استكمال مشروع إنشاء محطة مياهٍ في البلدة. وهي محطةٌ كانت أعمال إنشائها قد شارفت على الانتهاء، ثم توقف العمل فيها مع اندلاع الثورة. وبحسب مصادر مؤسسة المياه التابعة لحكومة الأسد، تبلغ الطاقة الإنتاجية للمحطة 200 متر مكعب في الساعة. وهو رقمٌ كفيلٌ بحلّ مشكلات النقص في إمدادات مياه الشرب.

جانب من محطة الشميطية

في ظلّ تراجع محطة طريف.. مياهٌ ملوثةٌ وإصابات...

بعد تحرير قوّات المعارضة مدينة الطريف "سُرقت" بعض تجهيزات المحطة، على حدّ وصف الناشط الإعلاميّ أبو خالد، الذي يرى أن انشغال الجيش الحرّ بقتال النظام، وغياب الحسّ الأمنيّ، كانا وراء ما أصاب المحطة، مضيفاً إلى ذلك استجرار بعض أهالي الطريف وقراها مياه الشرب واستخدامها لسقاية الأراضي الزراعية. ما جعل السكان في الشميطية، بحسب الناشط الإغاثيّ عبد الله، يلجؤون إلى مياه الآبار رغم المخاطر الصحية لذلك، ورغم الحوادث التي تسبّب بها استخدام مياه الآبار لأغراض الشرب، إذ أجريت عدّة عمليات استئصالٍ للزائدة الدودية بسبب المياه الملوّثة. كما يشرح عبد الله لـ"عين المدينة" صعوبة الحصول على مياهٍ صالحةٍ للشرب، إذ ترتفع أسعار مياه الصهاريج ويعجز معظم سكان البلدة عن شرائها. كلّ ذلك دفع بأعضاء المجلس إلى البحث عن حلولٍ جذريةٍ لهذه المشكلة، ولم يكن أمامهم سوى التفكير في تشغيل المحطة رغم صعوبة ذلك، إذ يترتب عليهم قبل ذلك استكمال الأعمال المدنية والميكانيكية فيها، فلا يكفي وجود البناء وخزانات الترقيد وشبكة الأنابيب وغير ذلك مما أنجزته مؤسسة المياه لتشغيل المحطة واستثمارها، بل يحتاج الأمر إلى تجهيزاتٍ عدّةٍ لا يتوافر بعضها في الأسواق المحلية، حسب ما يقول الناشط أبو علاء، إضافةً إلى ضعف الإمكانات المالية للمجلس، مما أفشل محاولة التشغيل الأولى في صيف العام 2013.

محاولة التشغيل الثانية.. وأبو دحام

لم يستسلم أبو دحّام، رئيس المجلس المحلّي، للعوائق التي حالت دون تشغيل المحطة. فبذل جهوداً جبارة لإنجاح المشروع، ودفع من ماله الخاصّ مبالغ ماليةً وصلت إلى ثلاثة ملايين ليرة، بحسب ما يتحدث المهتمون بالمشروع، قبل أن توافق المنظمة الداعمة على دفع مبلغ 15 ألف دولار، وساهم مجلس الشميطية بـ5 آلاف، ومجلس بلدة الخريطة من طرفه بمبلغ 6 آلاف دولار. علماً أن تكلفة التشغيل الإجمالية تصل إلى 13 مليون ليرة، مما يرتب ديناً كبيراً، بالمقارنة مع الإمكانات المتوافرة، يصل إلى 8 ملايين ليرة، منها ثلاثةٌ لأبي دحام، الذي لا يبدو قلقاً من عدم استرداد ماله أمام النجاح الكبير الذي حققه في تشغيل المحطة.

ويذكر العاملون في المشروع الدور الذي قام به متطوعو الهلال الأحمر، والمساعدات الهامة التي تلقوها منهم، وخاصةً في تأمين مادة الكلور اللازمة للتعقيم.

يعتبر نشطاء الريف الغربيّ المشروع خطوةً هامةً في عمل المجالس المحلية للمنطقة، وكسب ثقة السكان بهذه المؤسسات الأهلية الوليدة التي تحاول أن تتصدّى لمشكلاتٍ كثيرةٍ يأتي تأمين مياه الشرب، بشكلٍ مناسبٍ ودون انقطاع، في مقدمتها.

تنظيم الدولة يقاسم المنظمات الخيريّة في وارداتها

أيمن سليمان

بعدما سيطر تنظيم "الدولة الإسلامية" على مدينة دير الزور أصدر جملةً من القرارات المتعلقة بالعمل الإغاثيّ فيها، مما يضاعف الأعباء التي يتحملها ناشطو الإغاثة، ويهدّد بحرمان آلاف المستفيدين منها.

في اجتماعه مع ممثلي المنظمات الإغاثية العاملة في دير الزور، تعهد مندوب "الدولة" بتلبية احتياجات المنظمات في حال موافقتها على شروط العمل الجديدة، وهي تسليم نصف وارادت هذه المنظمات، العينية والنقدية، للتنظيم.

وجاءت استجابة ناشطي الإغاثة لشروط الدولة ضعيفة. فقد آثر الكثيرون منهم إيقاف نشاطهم والخروج من المدينة، نظراً لاستحالة العمل وفقاً لشروط التنظيم، كما أوقفت كثيرٌ من الهيئات الداعمة تعاملها مع من تبقى من منظمات الإغاثة المحلية، مما سيخلف آثاراً كارثية على العمل الإغاثيّ وعلى آلاف العوائل المعتمدة عليه بشكلٍ رئيسيٍّ في تأمين متطلبات حياتها اليومية.

المطابخ الخيرية

يميز ناشطو الإغاثة في دير الزور المطابخ الخيرية عن باقي الفعاليات الإغاثية. وبدأت تجربة هذه المطابخ مع منظمة روافد التي كانت رائدةً في هذا الجانب بافتتاحها أوّل مطبخ خيريٍّ في المدينة في عام 2012. وتمكنت روافد من مواصلة تشغيل مطبخها خلال أوقاتٍ صعبةٍ مرّت بها دير الزور. وما زال مطبخها يعمل رغم التضييق الكبير من جانب التنظيم، في حين عجزت منظماتٌ أخرى عن ذلك، بما فيها مكتب الإغاثة التابع للمجلس المحليّ، الذي أوقف العمل في مطبخه الخيريّ، مما حرم أكثر من 350 عائلةٍ من وجبة طعام يومية. في حين يمرّ مطبخ منظمة "بنيان" بأيامه الأخيرة، بعد توقف الدعم المقدّم له من هيئاتٍ كويتية، بانتظار ما ستسفر عنه قرارات الحكومة الكويتية بخصوص أنشطة الإغاثة في الأراضي الخاضعة لتنظيم الدولة في سوريا.

ومنذ سيطرة التنظيم على مدينة دير الزور قبل شهرين، طرأت تغييراتٌ كبيرةٌ على العمل الإغاثيّ، بدأها التنظيم بتتبع ممتلكات المكاتب الإغاثية التابعة للتشكيلات العسكرية، فصودرت أدوات مطابخ ومحتويات مستودعات كلٍّ من جبهة النصرة وحركة أبناء الإسلام وغيرها من الفصائل المسلحة التي ناصبته العداء. وافتتح التنظيم، مستخدماً التجهيزات المصادرة، مطبخه الخاص. في حين تعرّض بعض أعضاء ومسؤولي المنظمات الإغاثية للملاحقة من قبل مسلحي التنظيم، كما حدث مع مسؤولٍ في "هيئة الشام الإسلامية" اعتقله التنظيم فور سيطرته على المدينة. وصودرت ممتلكات الهيئة بحجة بيانٍ سابقٍ صدر عنها اعتبرت فيه إعلان الخلافة "فتنةً ومخالفةً للشريعة وتشويهاً لصورة الإسلام وإظهار دولته كدولة قتلٍ وإرهاب وجريمة".

وحاولت معظم المنظمات الإغاثية اتباع سياسة النأي بالنفس عن الصراعات العسكرية، وتجنب الانحياز إلى أيٍّ من الفصائل، حرصاً على استمرار عملها في ظلّ واقعٍ تتغير فيه القوة السائدة بين وقتٍ وآخر. غير أن هذه السياسة لم تشفع لهذه المنظمات أمام تعنت تنظيم الدولة ورغبته في السيطرة على مفاصل الحياة، الصغيرة منها والكبيرة. وأخيراً، جاء قرار التنظيم باقتسام واردات المنظمات الإغاثية مناصفةً ليؤكد نزعة السيطرة المطلقة لديه.

من أمام أحد المطابخ الإغاثية | خاص عين المدينة

تراجعٌ متواصلٌ في أسواق الميادين

فايز خلوف

شهدت أسواق مدينة الميادين، وهي حالياً المركز الاقتصاديّ الأوّل في محافظة دير الزور، تراجعاً متواصلاً خلال الأسبوعين الفائتين. إذ استمرّت حالة الركود، ولم يؤدّ اقتراب العام الدراسيّ الجديد إلى أيّ ارتفاع في معدّل الإقبال على شراء الألبسة والأحذية وغيرها من اللوازم المدرسية للطلاب، كما جرت العادة في السنوات السابقة. ويفسّر تجارٌ محليون غياب تأثير الموسم الدراسيّ الجديد بانخفاض القدرة الشرائية لدى الشريحة الأكبر من السكان، وحالة الغموض والتخبّط التي تكتنف طرائق العمل التعليمية في ظلّ سيطرة تنظيم "الدولة الإسلامية"، إضافةً إلى المخاوف المتعلقة بالنوايا الأمريكية بشنّ هجماتٍ جويةٍ على مناطق سيطرة التنظيم. وفي سياقٍ متصل واصلت الليرة السورية انخفاضها أمام العملات الرئيسية، ولوحظ إقبالٌ كبيرٌ على شراء الدولار الأمريكيّ. كما لوحظ انخفاضٌ في حركة التحويلات المالية في مكاتب تحويل الأموال، بسبب انكماش الكتلة المالية المتداولة في السوق نتيجة تراجع معدّل التجارة البينية داخل سوريا ومع الخارج. فيما سجلت السلع الرئيسية ارتفاعاً جديداً في الأسعار خلال الأسبوعين الفائتين، فارتفعت أسعار المحروقات -نتيجة استمرار الطلب من الأسواق العراقية- فوصل سعر ليتر البنزين المكرّر محلياً إلى 75 ل.س، وتراوح سعر ليتر المازوت، المكرّر محلياً كذلك، بين 50 إلى 60 ليرة.

التعليم في سوريا..

مناهج يكتبها أمراء الحرب ومدارس تخضع لسلطة القذائف

جود حسون

ما يمنع أم فادي، في حيّ باب توما الدمشقيّ، عن إرسال ابنها إلى مدرسته، مع بداية العام الدراسيّ الجديد، مختلفٌ عما يمنع عبد الباري في مخيم النزوح في عرسال اللبنانية. وذهاب نصر إلى مدرسته في الرقة يختلف عن ذهاب مريم في اللاذقية، ولو أن جوانب التشابه هنا حاضرةٌ إلى حدٍّ ما، بحكم تشابه الهيئات القائمة على الإدارة التعليمية بين منطقةٍ يسيطر عليها تنظيم الدولة الإسلامية، وأخرى يسيطر عليها البعث... ويقول همام، وهو أستاذٌ جامعيٌّ سوريٌّ هاجر منذ أشهرٍ إلى ألمانيا: "كلّ الكوارث السورية مؤلمة، إلا أن الكارثة التعليمية هي الأشدّ لأنها تنذر بكوارث متتاليةٍ طويلة الأمد".

دير الزور - من صفحة "حركة نشطاء" على الفيسبوك

الكارثة التي يقصدها الاختصاصيّ هنا، ليست فقط دمار البنية التحتية، على اعتبار أن آخر تقريرٍ صدر عن منظمة الأمم المتحدة يقول إن أكثر من نصف المدارس في سوريا باتت غير صالحةٍ للتعليم، ولا فقط بسبب انقطاع الطلاب عن مدارسهم بسبب نزوحٍ أو قطع طريقٍ أو أيّ سببٍ آخر؛ إنما هو باختلاف المناهج والأساليب التعليمية بين منطقةٍ وأخرى، وحرمان جزءٍ من الطلاب من التعليم نهائياً مقابل استمرار جزءٍ آخر، بمعنى تعميق شرخٍ ثقافيٍّ وعمليّ، وتهميش فئةٍ مقابل الاهتمام بأخرى، أو تعليم كلّ منطقةٍ وفق مفهوم ووجهة التيار العسكريّ المسيطر عليها.

في مناطق النظام:

لا تتشابه جميع مناطق النظام في وضعها التعليميّ. والقصد هنا ليس المناهج، فمناهج البعث هي ذاتها في كلّ مدارس سيطرته، لم يتغيّر فيها سوى تعميق مفاهيم النظام وتسويق أخباره وتأييد جيشه، إنما يكمن الاختلاف بحسب الوضع الميدانيّ للمنطقة. فمناطق في ريف دمشق وبعض أنحاء العاصمة تعتبر مفتوحةً على ميادين عملياتٍ عسكريةٍ واشتباكات، ما يجعل مدارس تلك المناطق تعيش حالة توتر، فتستقبل الطلاب يوماً وتغلق أياماً، فيما يرفض الكثير من الأهالي إرسال أبنائهم إلى المدارس، كما يحصل اليوم في جرمانا. بينما تعيش اللاذقية وطرطوس وغالبية أريافهما حياةً تعليميةً تقليدية، لا يشوبها -وفق مصدرٍ من مدينة بانياس- سوى ارتفاع أسعار القرطاسية والبذات المدرسية إلى "حدٍّ لا يطاق"، واستخدام الطلاب كحملة أعلام وصورٍ وهتّافين في جنازات قتلى الجيش النظاميّ.

> وفق تقرير "هدر الإنسانية"، الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقدّر نسبة الأطفال السوريين غير الملتحقين بالمدارس بـ51,8%. وتختلف هذه النسبة بحسب المحافظة، لتصل إلى 94% في الرقة. وقد حلّت سورية في المرتبة 135 من بين 136 بلداً في معدّلات الالتحاق بالتعليم الأساسيّ. وذلك حتى نهاية عام 2013 فقط.

في مناطق تنظيم الدولة الإسلامية:

التغيير الأكبر الذي تشهده العملية التعليمية في سوريا يجري في مناطق سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية، من خلال إلغاء بعض الكتب من المناهج المدرسية، مثل الفلسفة والتربية القومية والتاريخ، والتركيز على العلوم الشرعية الإسلامية، إضافةً إلى فصل المدارس المختلطة بين الإناث والذكور، وتغيير الملابس.

يأخذ عبد المعين طفليه التوأم بعيداً عن الرقة باتجاه مخيمات تركيا، ليس فقط هرباً من منطقةٍ باتت مهددةً بالقصف كل يوم، إذ يقول إن بيته لم يصب بأيّ أذىً حتى الآن، إلا أن مجمل سياسات التنظيم، وخاصةً التعليمية منها، لا تناسب "الجيل الجديد". ويضيف عبد المعين "أياً كان وضع التدريس في المخيمات فهو أفضل من تدريس الأطفال في مدارس تنتمي إلى العصر الحجريّ".

في لبنان:

لا يختلف تعليم السوريين في لبنان كثيراً عن نظيره في الداخل السوريّ، خاصةً بعد أحداث عرسال وتبعاتها. فالطالب السوريّ الذي كان يدرس في مدرسةٍ لبنانيةٍ في العام الماضي محرومٌ في هذا العام من التعليم، بأمرٍ رسميٍّ من وزارة التربية اللبنانية، بسبب ما أسمته الضغط الكثيف على مدارسها القليلة. إلا أنها لم تمنع تدريسهم في مدارس خاصة، وهو ما يشبه المستحيل بالنسبة إلى غالبية السوريين النازحين، بسبب الارتفاع الكبير للتكلفة المالية.

الثورة الإلكترونيّة السوريّة... منجزاتها وقصصها

محمد نزار

منذ بداية الثورة ونشطاءٌ كثر أعلنوا عبر الإنترنت عن عدّة حملاتٍ إنسانيةٍ وسياسيّةٍ وحتى اجتماعيّةٍ، تدعم الثورة عموماً أو تدعم أفراداً لسببٍ ما، كالمصابين وذوي الشهداء... إلخ. لكن كان لخبراء الاختراق والهاكرز الدور الأكبر في حربٍ يصفها البعض بأنّها حربٌ ثانيةٌ موازيةٌ للحرب على الأرض، بسبب المجابهة المباشرة في ميادين صفحات مواقع التواصل الاجتماعيّ.

قصص اختراقات الهاكرز

التجسّس عنوان عملهم الرئيسيّ، كما أخبرنا أحد العاملين في هذا المجال. يحاولون في البداية أن يشعروا الشخص المستهدف بالثقة والأمان عن طريق التحدّث وفقاً لاهتماماته ومواقفه مهما كانت.

العملية ليست سهلة، مثلما قال الشاب "كارسو" لـ"عين المدينة"، فهي تحتاج إلى تخطيط كبير ووقتٍ طويل. وهناك أناسٌ لا يمكن اختراق حساباتهم الشخصيّة بسهولة. لكن، في كلّ حالٍ، لا يوجد حسابٌ لا يمكن اختراقه، بسبب طرق الاختراق الكثيرة والمعقّدة، التي لا تشعر بها الضحيّة. ويضيف: "أحد الحسابات التي تمّ اختراقها كانت لشابٍّ اسمه نوح حيدر، من الطائفة الشيعيّة. وكان عمله في بلدة نبّل، شمال شرقيّ حلب. وعرفنا أنّه من أصلٍ عراقيٍّ وجاء للقتال في سوريّة. ويتقاضى راتباً شهريّاً قدره 1000 دولار، كما قال لأخته في إحدى الرسائل". ويشير "كارسو": "اخترقنا مئات الحسابات الشخصيّة والمواقع المهمّة؛ من بينها اختراق موقع قناة الدنيا وموقع تابع لجهاز المخابرات العامة، في السنة الماضية".

شهيد الهاكرز

لم يكن أعضاء فريق هاكرز الثورة السوريّة بمنأىً عن الأذيّة التي لحقت بالمواطنين والثوّار، فكان من هذه المجموعة من قضى على أيدي قوّات النظام داخل الفروع الأمنيّة.

"بلاك بريشر"، هكذا كان لقبه على الإنترنت، وهو قائد فريق هكر الثورة السوريّة، اعتقل منذ بضعة أشهر، بعد قيامه هو ورفاقه باختراق العديد من أجهزة الضباط والموالين للنظام وتعطيل حساباتهم على مواقع التواصل الاجتماعيّ.

يقول والد الشاب لـ"عين المدينة": "وصل إلينا خبر استشهاد ابني عن طريق بعض المعارف في سلك الأمن، عندما قالوا لنا إنه مات تحت التعذيب بسبب عدم اعترافه بأسماء باقي الفريق. حتى الجثة لم نستلمها منهم. كانت الحسرة تأكل قلب والدته التي تمنت أن تراه قبل أن يُدفن".

وقامت أكثر من مجموعة هاكرز، منها فريق هاكرز الثورة السوريّة، والثورة السورية الجناح الإلكترونيّ، ومجهولي سوريّا، والشاب سامي سورد؛ بتأسيس صفحةٍ على الفيس بوك أسموها الانتقام لبلاك بريشر،عرضوا فيها عشرات الاختراقات التي نسبوها لصديقهم الشهيد، وفاءً له.

آراءٌ من الشارع

قامت "عين المدينة" بجولةٍ في أحد شوارع ريف حلب، للاطلاع على آراء البعض فيما يتعلّق بماهيّة الآثار الناتجة عن اختراق حسابات عناصر النظام، ومدى إيجابيّة وسلبيّة هذا الفعل.

يقول شعبان الحسن، وهو ناشطٌ إعلاميّ: ليس لهذا النشاط أيّ أثر، لأنّ أعداد الشبيحة كبيرة. وهناك ما يسمّى الجيش السوريّ الإلكترونيّ، الذي يسارع لإنشاء بديلٍ عن كلّ حسابٍ أو صفحةٍ تمّ اختراقها. كما هو حال صفحات المعارضة. هي لعبةٌ ليست لها نهاية". في حين كان للناشط الحقوقيّ محمود العبد الله رأيٌ آخر، إذ يقول لـ"عين المدينة": "بالطبع لها آثارٌ إيجابيّة. هذه العمليّة تصبّ في صالح الثورة، لأنها تعطينا معلوماتٍ ووثائق تخدم ثورتنا إعلاميّاً أو أمنيّاً، ولأنها تضرّ النظام بشكلٍ من الأشكال". أمّا الشاب مأمون المعادي فقد قال لـ"عين المدينة": "باعتقادي أن هناك تأثيراتٌ لهذا العمل، لأنه يسهم في كشف الكثير من المعلومات التي قد تكون سريّة، ومخطّطاتٍ مهمّة للطرفين العسكريّ أو المدنيّ. ولأعمال الهاكر الدور الكبير في إحباط هذه المهمّات".

تنوّعت الأدوار في الثورة، بعد أربع سنواتٍ من انطلاقها، بين مقاتلٍ في الجيش الحرّ، وناشطٍ إعلاميٍّ ينقل انتهاكات النظام، وناشطٍ حقوقيٍّ يعمل للإفراج عن المعتقلين، ومغنين يناصرون الثورة بألحانهم الوطنيّة، وأخيراً الهاكرز الذين يهاجمون صفحات المحسوبين على النظام ويخترقونها.

مئذنة الجامع الأمويّ الكبير بحلب ضحيةٌ أخرى للاشتباكات

موسى جلال

في 24 نيسان 2013 سقطت مئذنة الجامع الأمويّ بحلب أمام مرأى الجميع. كثرت الاتهامات والتقارير والأقاويل حول من دمّرها، ولكن النتيجة واحدة، فالمئذنة أصبحت ركاماً. وإن كنا لم نستطع فعل شيءٍ أمام دمارها فيجب علينا، على الأقلّ، أن نعمل للمحافظة على هذا الركام الذي نستطيع من خلاله إعادة بنائها وترميمها.

يعود بناء هذه المئذنة إلى عام 1090 ميلادي، في العهد السلجوقيّ. وهي مربعة المسقط. ويبلغ ارتفاعها 45 متراً، وطول ضلعها 4.95 متراً. وتقع في الجهة الشمالية للجامع. وتحوي عناصر معمارية مثل المقرنصات، كما تحوي زخارف كالنقوش البارزة التي تعود إلى عهد المماليك وقيامهم بإضافاتٍ إلى عمارة الجامع. وقد توّجت المئذنة بقمّةٍ لها شرفة. تعرّض الجامع، ومن ضمنه المئذنة، للعديد من الحرائق والحروب، كما حصل عندما قام البيزنطيون بحرقه وقام المغول بهدمه أثناء دخولهم مدينة حلب. وقد قام السلاطين، خلال عهود السلاجقة والمماليك والعثمانيين، بإعادة بناء أجزاءٍ منه وترميمه وإضافة بعض العناصر إليه. وقد كان آخر ترميم للجامع عام 2003، عندما تمّ ترميم صحنِ الجامع والمئذنة نفسها، التي تعدّ فريدةً من نوعها في عموم العمارة الإسلامية، وذهب أحد الآثاريين الألمان إلى وصف أسلوب عمارتها بأنه "نتاج حضارة البحر المتوسط".

ويرى الكثير من الباحثين والمختصّين بالآثار أنه يمكن إعادة بناء المئذنة وترميمها، بالرغم من تهدّمها بشكلٍ كامل، ولكن يجب أن نحافظ على أحجارها المتهدمة، التي ما زالت حيث وقعت، نظراً لوجود قنّاصٍ تابع للنظام السوريّ يطلّ عليها. وبحسب رأيّ هؤلاء الباحثين يجب أن تبقى الأحجار في مكانها ولا يتمّ نقلها إلى أيّ مكانٍ آخر، وذلك خوفاً من تكسيرها أثناء التحريك. وإذا كان بالإمكان تغطيتها بأيّ شيء، سواءً بغطاءٍ بلاستيكيٍّ، أو طمرها بالتراب، فإن ذلك سيساعد على الحفاظ على الحجارة من التلف بفعل الأمطار والحرارة.

وللحديث عن عملية الترميم وكيف ستكون قال باحثٌ سوريٌّ في الآثار: يمكن أن يكون الترميم بنفس الحجارة الموجودة، والسبب أن جميع حجارة المئذنة موثقةٌ ومرسومةٌ ومصوّرةٌ في مكانها قبل الهدم، لدى الجهات الدارسة والمعنية بحماية التراث سواءً داخل سورية أم خارجها. ولو بقيت الحجارة ستتمّ عملية فرزها حجرةً حجرة، وكلّ حجرةٍ تأخذ رقماً يخصّص لها، وبعدها يتمّ وضع جميع الحجارة بجانب بعضها، ومن ثمّ يتمّ البحث عن مكان كلّ حجرةٍ حسب الصور والمخططات. وبحسب اعتقاد هذا الباحث وخبرته في هذا المجال فإنه يمكن إعادة البناء بنفس الشكل الذي كانت المئذنة عليه. وقد أشار إلى أن هناك أمثلةً عديدةً في العالم، كما هو الحال في البوسنة والهرسك، حيث تمّت إعادة بناء العديد من الأبنية الأثرية التي تهدّمت.

وطريقة الترميم هذه واحدةٌ من أهمّ الطرق التي ستعتمد في الحالات المشابهة للمئذنة، مع وجود الركام المتهدم أو أجزاء من الأبنية الأثرية المتهدّمة، ومع وجود مخططاتٍ وصورٍ لهذه الأبنية. وهناك طرقٌ أخرى يتمّ اختيارها بحسب الحالة. ومن هنا نوجّه نداءً إلى كافة الأفراد والجهات المعنية وغير المعنية بالآثار، بالمحافظة على الركام أو أجزاءٍ منه في أيّ بناءٍ أثريٍّ تعرّض للهدم بشكلٍ كاملٍ أو فقد أجزاءً منه، وذلك من أجل استعادة شيءٍ من شكله وحجمه ومضمونه وقيمته الأثرية أثناء عمليات إعادة البناء والترميم، التي ستتمّ فيما بعد. ولا ننسى أن هناك العديد من الأشخاص الانتهازيين المهتمين ببيع هذه البقايا إلى الدول المجاورة، كما حدث مع البلاط الحجريّ لشوارع حلب القديمة، إذ بيع في لبنان.

«فتنة» داعش

(2 من 3)

مداخل سياسيّة وعسكريّة

عمر الباشا

من جوانب واقعية، تضافرت عدّة عوامل في مسار الثورة السورية على الأرض، أدّت إلى وقوع عددٍ من أبنائها أسرى ما أسميناه «فتنة» داعش. ولعلّ أبرز هذه العوامل هي التالية:

1- وحشية نظام بشار الأسد وأنصاره:

من المعروف أن الثورة السورية بدأت بالفعل كثورة شعب أعزل في مواجهة ترسانة مدججة بالأسلحة والعصبية الطائفية والتعنّت الذي لا يرى للناس حقوقاً إلا ما يمنّ عليهم به من فتات. و قد استخدم النظام دوماً عتبةً أعلى من القمع كلما زادت الاحتجاجات ضدّه. فمنذ البداية نشطت أجهزته الأمنية المتكاثرة في الاعتقال والتعذيب والإهانة. وبمجرّد ما كانت هذه الأجهزة تشعر باحتمال خروج الوضع عن السيطرة، هنا أو هناك، كانت تلجأ إلى قنص الأشخاص المركزيين في بؤر التظاهر، وتفريق جموعهم بالرصاص الحيّ. وما أن استخرج بعض الثائرين بنادقهم الصدئة حتى نزل الجيش إلى الشوارع وسيطر على المدن. وما أن رفض أفرادٌ من هذا الجيش استخدامهم كآلة قتل وقمع، وانضموا إلى أهلهم الثوّار، حتى أخذ النظام يقصف التجمعات السكنية بالسلاح الثقيل. وما أن خرجت مدنٌ عن سيطرته حتى أمر الطائرات الحربية بالانطلاق نحوها. وما أن اختلّت موازين القوى لغير صالحه حتى استقدم الميليشيات الطائفية من العراق ولبنان وسواهما، ليكملوا ما بدأه شبّيحته وعناصر دفاعه «الوطنيّ» من ذبح الناس بطرق وحشية شكّلت صدماتٍ عميقةً وأورثت ذهولاً مخيفاً في نفوس جمهور الثائرين. ولنتذكر هنا سلسلة مجازر السكاكين التي حصلت في حمص وأريافها. فهل نستغرب بعد هذه المشاهد الدموية، التي أضحت يوميةً، أن يفتح عددٌ من السوريين أذرعهم للنصير الذي جاء من أقاصي الأرض، في صورة مهاجرين متفانين أشدّاء، يعالجون العدوّ بمثل ما يفعل وهم يصرخون: «بالذبح جيناكم»؟

2- تلكؤ المجتمع الدوليّ عن التدخل الفاعل:

رغم أرضيةٍ من التشكيك في نزاهة الغرب، ورثها السوريون من تربية البعث ومن الرؤية السياسية لنظام الأسدين، فقد عوّل جمهور الثورة على تدخّلٍ يشبه ما سبق أن حدث في ليبيا، ينقذهم من الوحشية المتنامية الموصوفة فيما سبق. فماذا كانت النتيجة؟ أهو سوء حظّ السوريين أن وقعوا بين انكفاء «الحقبة الأوبامية» واليقظة المفاجئة لروسيا وعدم رغبة الدول الوازنة في التدخل، أو عدم قدرتها على ذلك بشكلٍ مؤثر؟ أم هو خطأهم إذ لم ينتجوا قياداتٍ مقنعةً ومشاريع معقولةً لإدارة البلد في مرحلةٍ انتقاليةٍ مفترضة، والحفاظ على بنى الدولة فيها، وعدم تشكيلها خطراً على دول الجوار وسواها؟ المهم أنهم في النتيجة لم يحصلوا على ما أرادوه من بسط أدنى درجات الحماية على مدنهم التي تتعرّض لكلّ أنواع القصف، فاستصرخوا العون حتى من «الشيطان».

3- تراجع فعالية القوى المسلحة للثورة:

ارتفعت شعبية، وإنجازات، المظلة الواسعة للمقاتلين ضد النظام، والتي عرفت بالاسم الفضفاض «الجيش الحرّ»، خلال سنةٍ أو أكثر من نشوء هذه القوى. ولكن، ما إن تحرّرت مناطق، واستقرّ الوضع فيها عسكرياً، حتى بدأت عيوب هذه القوى بالظهور؛ كالفوضى وغياب القيادة المركزية الضابطة، التي تمنع أفراداً من هذه القوى من الظلم العشوائيّ لمحكوميهم الجدد من الأهالي، إلى سيطرة الكتائب على ما ورثته بالقوة عن الدولة/ النظام من مقرّاتٍ وتجهيزاتٍ، بل وآبار نفط، وصولاً إلى إخلاد كثيرٍ من التشكيلات إلى واقع الحال، والاكتفاء بالمرابطة الروتينية وغير المجدية على الجبهات التي أخذت بالاستنقاع، مع كلفةٍ بشريةٍ مستمرّة، واستمرار معظم أبناء المناطق المحرّرة في حياة الطوارئ. ومن هنا نجمت الحاجة إلى قوّةٍ حاسمة، وهو ما قدّمت داعش نفسها به.

4- الأداء العسكريّ للتنظيم:

الذي استفاد من الإنهاك الذي أصاب خصميه؛ قوى الثورة وقوّات النظام. بل إنه تجنّب الصدام مع هذا الأخير طويلاً ما دام قوياً -مما أطلق أوهاماً عن عمالةٍ وخططٍ تآمريةٍ مشتركة- بهدف اقتصاد الإمكانيات وعدم الدخول في معارك مكلفة. وبالفعل، نلحظ أن مخطط التنظيم هو حشد قدرٍ كبيرٍ من القوة لمهاجمة نقطةٍ منفردةٍ وسحقها بأكبر درجةٍ ممكنة، كما العناية بالسيطرة على النقاط الاستراتيجية في المعارك، كالبوابات الحدودية وخطوط الإمداد ومخازن الأسلحة. وقد أثارت هذه القوّة المنظّمة -التي حرص التنظيم على مواكبتها بأفضل دعايةٍ ومبالغاتٍ ممكنة، لتقريبها من صورة القوّة التي لا تقهر- إعجاب مقاتلين استهلكت المرابطة ونقص الذخيرة أيامهم، فانضووا تحت الركب الذي بدا أنه الأقوى، ولا سيما بعدما فتح التنظيم معاركه مع النظام أخيراً.

وللحديث تتمة...

أحرار الشام.. رحلة حياةٍ وموت

سعد عبد الباري

لم يكن قائد حركة أحرار الشام يعلم بما ينتظره بعد أيام، عندما نصحه صديقٌ مقرّبٌ للحركة: "شيخ أبو عبد الله؛ لا بدّ أن تعدّوا الصفّ الثاني ولا تقتصروا على الأوّل... فأجابه مبتسماً: لا تقلق؛ نحن نعمل على الصفّ الثالث".

نشأة الحركة

في مطلع 2012 بدأ حسّان عبود، المعروف بـ"أبو عبد الله الحموي"، ابن قرية الشريعة في الغاب بريف حماة؛ تشكيل كتيبة الخطّاب، منتقياً عناصرها من رفاق سجنه في صيدنايا، مثل أبو أيمن رام حمدان، الذي كان يتمتع بمكانةٍ هامةٍ في الفرع العراقيّ لتنظيم القاعدة، وأبو الخير طعوم، الذراع الأيمن للحمويّ، والذي صار نائباً له فيما بعد. كما فتح باب الانتساب إلى الكتيبة أمام بعض أبناء قريته والقرى المجاورة من الشبان ذوي التوجهات السلفية، إضافةً إلى أفرادٍ من عائلته. في بدايتها، كانت الكتيبة منغلقةً نوعاً ما، تعتمد فقط على عناصر ذوي ميولٍ جهاديةٍ بالمفهوم السلفيّ. ركزت الكتيبة على العمليات الأمنية والعسكرية الخاصّة، يساعدها على ذلك قرب معقلها من الطريق المعروف بطريق الموت، الواصل بين إدلب و حماة. وأدّت نجاحاتها إلى صعود نجمها بين التشكيلات الناشئة في ذلك الوقت، مما جذب جهاديين جدداً إليها، ولفت انتباه داعمين مهمّين. لتتحوّل، وبعد أشهرٍ قليلة، إلى لواء عمر بن الخطاب، والذي أعلن في بيان تأسيسه تبعيته لكتائب أحرار الشام، غير المعروفة من قبل. وخلال الأشهر الستة الأولى من عمر هذا التشكيل النامي تمكن الحمويّ ورفاقه من استقطاب العشرات من الشخصيات الجهادية من غير السوريين، حطّوا رحالهم أولاً في "أحرار الشام"، قبل أن تنفتح، وبشكلٍ جزئيٍّ، على مجتمع الثورة السورية والجيش الحرّ، ابتداءً من منتصف 2012، وبتأثيرٍ من أبو خالد السوريّ، ذي التاريخ الجهاديّ الطويل، والعضو الكبير الجديد في الأحرار. وقد نفّر هذا الانفتاح بعض مهاجري الأحرار المهمّين، مثل أبو عبد العزيز القطريّ، الذي انفصل مؤسّساً جند الأقصى، التي تركزت عملياتها في ريف حماة. كما غادر الحركة أيضاً السعوديّ المعروف بـ"صقر الجهاد"، قائد كتيبة صقور العز، التي تتركز عملياتها في ريف اللاذقية السنّي. وفي شباط من عام 2013، وبعد السيطرة على مستودعات السلاح في "خان طومان" بحلب، توحدت كلٌّ من حركة الفجر وكتائب الإيمان ولواء رايات النصر-جميع قادة هذه التشكيلات من خريجي سجن صيدنايا- إلى جانب كتائب أحرار الشام في جسمٍ اندماجيٍّ واحدٍ هو حركة أحرار الشام.

الاقتتال مع تنظيم الدولة نقطة تحوّلٍ لدى الأحرار

في الربع الأخير من العام الفائت، قام تنظيم "الدولة الإسلامية" باعتداءاتٍ متفرقةٍ على عناصر وشخصياتٍ من حركة أحرار الشام. ولم تخفف مناظرات أبو عبد الملك الشرعيّ من طرف الحركة مع قضاة "الدولة" في ريف إدلب من حدّة الاحتقان بين الطرفين. لتندلع الحرب في الأيام الأولى من العام الحالي، وتهزم الحركة في حصيلتها هزيمةً شبه كاملة، وخاصةً في محافظة الرقة، مما أضعف هيبتها في عيون الكثيرين. ويعزو بعض المطلعين على شؤون الحركة تقهقرها أمام تنظيم الدولة إلى ضعف الإعداد العقائديّ بما يخصّ مقاتلته. إذ كان شرعيو الحركة يحضّون منتسبيها، ولا سيما في معسكرات التدريب، على احترام "أخوّة المنهج". مما أدّى إلى مزيدٍ من التخبط في مواجهات الحركة مع التنظيم، الذي كان قد حسم أمره النفسيّ مع الحركة بتصنيف مقاتليها في خانة المرتدّين. وبعد حرب "الدولة" اختفت "أخوّة المنهج" من برنامج الشرعيين، ليحلّ محلها "واجب قتال الخوارج"، وتصبح الحركة -بعد هذا التطور النوعيّ- أكثر جرأةً في التحلل شيئاً فشيئاً من أدبيات المجتمع الجهاديّ. تحللٌ انتهى بتوقيع الأحرار على ميثاق الشرف الثوريّ، ودفع بالحركة مسافاتٍ بعيداً عن الصبغة الشمولية للحركات الجهادية. ويبدو أن الحركة، وتحت دواعي المصلحة والتكيّف العاقل مع الواقع، كانت ستخطو خطواتٍ أخرى في هذا الاتجاه لولا أن وقع ذلك الحادث العاصف، حين أودى تفجيرٌ غامضٌ بحياة 36 من قيادات الصف الأوّل والثاني فيها. وفي رأينا، لا يبدو أن حظوظ الحركة في الصمود بعد هذه الحادثة كبيرة.

السخرية وحلم البطش..
من وسائل الناس في مواجهة الاستبداد

مالك مصطفى

هما آليتان دفاعيتان، ينخرط فيهما المجتمع لا شعورياً ودون تخطيط، في مواجهة الظلم والحكم الاستبداديّ. ولا ترتبطان في حالتنا بظهور تنظيم الدولة، مع أنه أسهم في إعادة المجتمع إليهما، بعد أن أصابته الحرب الطويلة والمفتوحة بالإحباط، وجعلته يكفر بجدوى الحراك السلميّ (السرّيّ والمنظم) في تغيير الواقع السياسيّ. وقد كانت السخرية وتمنّي البطش هما السلاح الوحيد الذي كان يملكه المجتمع طيلة حكم البعث، بعد أن حظرت أجهزة الأمن جميع النشاطات السياسية والاجتماعية والثقافية المعارضة، وجرّدت الأحزاب من قاعدتها الشعبية.

لا يجد المتابع اليوم صعوبةً في ملاحظة العدد اللافت والمتزايد من الصفحات الساخرة من الجميع، ومن تنظيم الدولة بالتحديد، على موقع الفايسبوك. كما أن هذا المتابع سيلاحظ الكمّ الكبير من الإعجابات التي تحظى بها النكات الموجّهة ضدّ التنظيم دون غيره، مما يحيل على أن قمع التنظيم وقسوته، ومحاولته إكراه المجتمع على قناعاته وتصوّراته، هو من يقف وراء هذا الموقف السلبيّ، الذي اتخذه أكثر الناس، والذي يعبّر عن حدّةٍ في المزاج، ويستند إلى ردّات الفعل في مقاومة المواقف الطارئة. دون أن نعني بذلك أن السخرية سلبيةٌ في حدّ ذاتها، لكن السلبية هي في أن تأتي عشوائيةً، دون أن توظّف ضمن إستراتيجيةٍ كبيرة، كاستخدام النكتة لكسر الحواجز والقيود، وتهيئة المجتمع لرفض الإملاءات التي تحاول أن تلبس اللبوس الدينيّ (في حالة التنظيم) والوطنيّ (في حالة النظام).

ولم تختلف هذه الآلية اليوم عما كانته في ظلّ حكم الأسد الأب والابن، إلا في طريقة تداولها، فقد كانت في السابق تنتقل شفوياً، أما اليوم فهي تعتمد على صفحات التواصل الاجتماعي، دون أن يؤثر ذلك على التناقل الشفويّ للنكتة. على أن تداول النكات على تلك الصفحات أثر في طريقة طرحها، فأصبحت تميل إلى القصر والتكثيف واعتماد الصورة. لكن محتواها ما زال يدور، كما في السابق، حول جهل عناصر الجهتين، وانتهازية رأسيهما السياسية.

هذا من ناحية السخرية، أما من ناحية البطش (أو الإيمان به) فإن المتتبع للأحاديث التي تدور بين القطّاع الأكبر من الناس الواقعين في مناطق سيطرة هذا التنظيم، والذين يحلمون بزواله، وللإشاعات التي يتناقلونها، شفوياً وعلى صفحات الفايسبوك، (عن تنظيماتٍ سرّيةٍ لتنفيذ الاغتيالات، كالكفن الأبيض) والأماني التي يبنونها (في التدخل الغربيّ)؛ يجد أن هؤلاء قد وصلوا إلى مرحلةٍ من اليأس أرخت معها لتلك الأمور العنان. وهي أمورٌ تدور، في المحصلة، حول قوىً ضاربةٍ تزيل التنظيم والمتعاطفين معه عن بكرة أبيهم. ولا نغفل هنا أن مجرّد ظهور تنظيم الدولة، في حدّ ذاته، قد يكون ترجمةً وانعكاساً لهذه الآلية (الحلم) على أرض الواقع لدى الكثيرين، مع ما صاحب ظهوره من بطشٍ منقطع النظير، وإراقة الكثير من الدماء، والتنكيل بالمهزوم بقصد الترهيب. ولا يغيب عنا هنا التذكير بالقناعة التي وصل إليها المناهضون لنظام الأسد قبل الثورة، والتي رأت أنه من المستحيل إزاحته دون انقلابٍ عسكريٍّ، أو تدخلٍ خارجيٍّ، أو حربٍ شاملةٍ يخوضها الشعب ضده.

ومن خلال تسليط الضوء على هاتين الآليتين، قد نكون وضعنا يدنا على أحد الأسباب التي كانت تقف وراء ظاهرة الرواج منقطع النظير الذي حظيت به عندنا قصائد مظفر النواب السياسية. إذ إن تلك القصائد، في التحليل الأخير، لا تعدو أن تكون ساخرةً أو ممجّدةً للبطش.

إن المجتمع، بقواه الأهلية القديمة، من أسر وعشائر وأحياءٍ وغيرها، وقواه الحديثة، من منظماتٍ وهيئاتٍ وجمعياتٍ وغيرها، لم يدرك بعد مكامن قواه الذاتية، وقابلية استخدامها بطرقٍ سلميةٍ منظمةٍ ذات آثارٍ بعيدة، بمنأىً عن استخدام السلاح إلا في الحالات الاستثنائية، وأن هذه الطرق قد تكون لها نتائج ربما لا تستطيع الجيوش الجرّارة الوصول إليها.

من البيانونيّ إلى طيفور:
الجهاز العسكريّ يسيطر على الإخوان السوريين

محمد عثمان

حين ظهر الجزء الأوّل من كتاب «هذه تجربتي وهذه شهادتي»، الذي تضمّن مذكرات القياديّ والمنظّر الإخواني البارز الشيخ سعيد حوّى، عام 1987م، كان مخيباً للكثيرين. إذ تجنب الخوض في تفصيلات مرحلة الصدام الدامية بين الإخوان المسلمين ونظام حافظ الأسد، وهي المرحلة التي يهتمّ بها القارئ أكثر من ظروف نشأة حوّى وشبابه... إلخ. والآن، وبعد مرور كلّ هذه السنوات، يظهر الجزء الثاني من هذه المذكرات، ولكن منقوصاً هو الآخر.

في مقدمة هذا الكتاب، الذي ظهر إلكترونياً منذ مدّةٍ قصيرة، تأتي كلمةٌ لزوجة الشيخ، توضح فيها أنه طلب من أسرته نشر هذا القسم بعد وفاة حافظ الأسد. دون أيّ تبريرٍ لتأخر نشره عن ذلك التاريخ حتى الآن، وعن سبب غياب الباب الثالث من هذا القسم نفسه، والمتعلّق بمرحلة ما بعد أحداث حماة، كما يشير حوّى في المقدّمة، بعد أن يذكر أنه سيتناول في الباب الأول مرحلة ما قبل المواجهة مع النظام، وأسبابها وشخصياتها، وفي الثاني وقائع هذه المواجهة حتى نهاية أحداث حماة.

ولا تتوقف الخيبة هنا، إذ يبدو الكتاب متواضع الخلاصة ضيّق الرؤيا، يهتمّ أساساً بتبرير مواقف قيادة الإخوان أثناء الأحداث، والتي كان المؤلف عضواً شبه دائم فيها، والدفاع عما وُجّه إليها من اتهاماتٍ كثيرةٍ، ولا سيما من أعضاء وأنصار تنظيم «الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين» الشقيق. وإذا كانت رواية الطليعة لمجريات الثمانينات، ولا سيما الشهادة المطوّلة لعدنان عقلة، تلقي باللائمة على عدنان سعد الدين بشكلٍ رئيسيّ، وكانت رواية سعد الدين، التي أثبتها في مذكراته ومقابلاتٍ عديدة، تردّ التهمة باتجاه تهوّر عقلة نفسه؛ فإن سعيد حوّى يأتينا بـ«متهم» جديدٍ لا يزال لاعباً مركزياً في قيادة الإخوان المسلمين السوريين، هو علي صدر الدين البيانوني.

فوفق رواية حوّى، اضطرّت الجماعة الأم إلى اتخاذ القرار بمواجهة نظام حافظ الأسد عسكرياً، بعد أن لم يفرّق هذا النظام بينها وبين الطليعة التي قامت بمجزرة المدفعية، ونتيجة ضغط قواعد جماعة الإخوان المتأثرين بالطليعة وأدائها على الأرض. ونتيجةً لذلك أنشئ جهازٌ عسكريٌّ في القيادة تولاه البيانوني، الذي كان نائباً للمراقب العامّ سعد الدين.

ونتيجة السرّية التي أحيط بها هذا العمل العسكريّ، والمركزية الشديدة التي اعتمدها البيانوني، وعدم ثقته إلا في القليل من مساعديه؛ وجد أعضاء القيادة أنفسهم بعد مدّةٍ -بمن فيهم المراقب العام نفسه- بعيدين عن معرفة تفاصيل ما يجري، بعد أن ربط البيانوني كل الخيوط في يديه. ومن جهةٍ أخرى، وجد هذا المسؤول العسكريّ نفسه مثقلاً بالأعباء التي لا يستطيع الوفاء بها كلها، ويرفض بشراسةٍ التخلي عنها أو تقليصها، فكان مصير كثيرٍ من التقارير التراكم على مكتب نائب المراقب العام، على أهميتها وحساسية المرحلة. ومن ذلك أن القيادة طلبت من مراكز المحافظات تقديم خططٍ عسكريةٍ خاصةٍ بكلٍّ منها، وأنجزت المراكز هذه الخطط التي بقيت أشهراً على مكتب البيانوني دون أن يجد الوقت لقراءتها. وكذلك قل عن المعلومات المسرّبة عن أوضاع الجيش السوريّ، من قبل ضباطٍ عاملين أو مسرّحين. كما قدم نائب المسؤول عن العمل الخارجيّ للقاء البيانوني، الذي لم يستطع أن يخصّص وقتاً لهذا اللقاء طيلة أسابيع قضاها الزائر في انتظاره دون جدوى. وإذا طرحت هذه المسائل في القيادة انفجر البيانوني غاضباً، وربما انسحب من الجلسة أو لوّح بالاستقالة، حتى لتكاد ترى في اجتماعات قيادة الإخوان سلسلةً من المشاحنات.

وربما لهذا السبب أراد حوّى أن لا تنشر مذكراته إلا بعد وقتٍ كافٍ، ومدّدت أسرته هذا الزمن إلى الآن، لما يمكن أن تنبشه هذه الصور من خلافاتٍ داخل التنظيم، ومن إعطاء الأدلة لخصومه على مدى قصور قيادته عن المسؤولية التي كانت ملقاةً على عاتقها في ذلك الوقت العصيب. وربما على المسؤولية التي سعى هذا التنظيم بكل قواه للإمساك بها، من وراء ستارٍ، أثناء الثورة السورية. فوفق كتاب حوّى، وبعد أحداث حماة وانهيار الجهاز العسكريّ للتنظيم وثبوت فشل أدائه، ومحاولته -رغم ذلك- السيطرة على الجماعة؛ اضطرّ البيانوني إلى الاستقالة من رئاسته. وبعد مدّةٍ من التخبط والقيادات المؤقتة السريعة التي لم تستطع استيعاب الملفات، آل الجهاز أخيراً إلى... فاروق طيفور!

هجاء مقهى النازحين

هادي الفيصل

في الجوّ الحارّ، وفي الجوّ البارد أيضاً، لا شيء يمكن فعله عصراً، وبعد قيلولة الغداء، سوى الهروب إلى كرسّي على طاولةٍ في مقهى.

هذه شبه نظريةٍ طبّقها كهول دير الزور، في برنامج يوميٍّ ورثوه جيلاً وراء جيل، بدافع أعلى من التسلية وأقرب إلى اللجوء نحو مكانٍ متسامحٍ يقبل المرء بأيّة صفةٍ كان. وليست مغامرةً أن اعتُبر المقهى، بصورته التقليدية، معقلاً للرجال ناقصي الطموح من ذوي الأنفس البريئة التي لا تطيق المطامع وانشغالاتها المعقدة. وفي عمر دير الزور غير الطويل كان المقهى جزءاً عضوياً من نسيجها العام. وكان ارتداء الجلباب الأبيض والمشي عصراً بالحذاء الصيفي المصنّع محلياً (الكلاش الديري)، مع ملاعبة أصابع اليد لسبحةٍ كبيرة الحبات، طقساً من طقوس المقهى قد تتخلله صلاة مغربٍ أو عشاءٍ في مسجدٍ قريب، مع انطلاقةٍ في بعض الأحيان نحو واجب عزاءٍ ثم عودة.

تغيّرت الأحوال، وتفرّق الزبائن في أراضي نزوح شتى، وهُجرت كؤوس شاي وصحون سجائر وطاولات نرد، واختفت سحب الدخان وضجيج مجموعاتٍ مقيمةٍ تعترف بحقّ كلّ واحدةٍ منها في الصراخ. كان المقهى بيتاً ثانياً يستقبل فيه الزبون المقيم بعض الضيوف على طاولةٍ جانبية، ويبدي الساقي حينها تأدباً إضافياً أمام الغريب. لقد ذهب كلّ هذا وتوقف هاتف مقهى "ابن ستيتة" عن الرنين، ليطلب متوارياً عن البيت لزوجته الغاضبة. ولم تعد مقاهي عصمان بك والسرايا ونقابة المعلمين إلا أطلالاً في ديار حربٍ، يستعيد منها العشاق النازحون إلى الجورة والقصور ما شاؤوا من صورٍ أنيسةٍ في وحشة أمكنةٍ جديدةٍ تحوّلت، بين ليلةٍ وضحاها، إلى مقاهٍ، بعد أن أنشئت لأغراضٍ أخرى. لتبرز قوّة الحياة مجاورةً تماماً لهشاشتها، قوّةٌ تغذي الرغبة في الاستمرار وهشاشةٌ تثقلها في مربع الخضوع.

أرض النزوح في الجورة والقصور

ليس للعبة "البوراكو" نكهة الأيام السالفة، ولم يبقَ منها الا أكل الوقت جرياً وراء نهاياتها البعيدة. ولا يسخّر اللاعبون، هنا في مقهى "الجاز"، كامل خبراتهم السابقة أثناء اللعب. فلا شيء يوحي بالهناءة أو راحة البال، بل كلّ شيءٍ هنا منفرٌ وغير أصيل. بدءاً بالمكان نفسه، الذي أسّس ليكون مجمعاً تجارياً ثم حوّله المالك إلى مقهى، استجابةً لطلبٍ نتج عن قدوم آلاف الزبائن النازحين، ثم بالديكور المتكلف في جانبٍ من الصالة والمهمل في جوانب أخرى منها، وكذلك مقاعد البلاستيك غير المريحة والطاولات زائدة الارتفاع. ولكن الأنكى من كلّ هذا على قلوب الزبائن النازحين هو تخلخل سلم الأهمية في مجتمع المقهى، اذ تبوّأ عناصر ما يسمى بـ"بالدفاع الوطني" المرتبة الأولى، وحُجزت لهم طاولات الصدارة، وصار "لصوص الدراجات النارية وموزّعو حبوب الهلوسة، وغيرهم من النكرات، رجالاً يطلبون النارجيلة بصوتٍ عالٍ ويدفعون الإكراميات لعامل النارة". ويشير سادة مقاهي الأمس ناحيةً أشخاصٍ بعينهم كانوا "لا يجرؤون على الاقتراب من عصمان بك، واليوم يتملقهم السقاة بعنايةٍ فائقة".

ينجح الزبائن النازحون في اختيار الأحاديث المناسبة من دون إبداء الولاء لعائلة الأسد، فأخبار السلع والأسعار والطرقات مواضيع آمنة. ويحبّون تذكر مقاهيهم الخاصة -فلكلّ رجلٍ مقهاه الخاصّ، لا يغيّره إلا لأسبابٍ وجيهة- فتسمع عبارات المقارنة مشحونةً بالحنين: "لم يكن الساقي يسألني ماذا أشرب في السرايا، ويجدّد الشاي كلما وجب دون أن أناديه"، و"كرسي الخشب والقش هو الأفضل لآلام الظهر"، و"قلت له: لا تغلق المقهى يا عبود، هي مصلحتك ومصلحة المرحوم أبوك". يبدي الزبون النازح ضيقاً أكبر بملاحقات الزوجة أكثر من ذي قبل. ويشتم الجوّال -يربطه همساً بعهد بشار- لأنه يخضعه لطلبها في كلّ لحظة، ثم يبرّر لها ما تفعله بالفراغ بعد ابتعادها هي الأخرى عن عالمها السابق. وقد يقفز سنواتٍ كثيرةً إلى الخلف ليترحّم على ساقٍ بعينه كان يتواطأ معه عند كلّ اتصالٍ من البيت على الهاتف الأرضيّ، فمرّةً يجيب: "لقد خرج قبل قليل.. ذهبوا إلى تعزيةٍ ثم يعودون"، أو "لا يا أم فلان لم يأتِ اليوم.. سأخبره عندما يأتي"، حين يكون الزوج مستغرقاً بمسلسل "البوراكو"، ويكتفي باستفسارٍ سريع: "شكون؟"، فيردّ الساقي "لا شيء". أيامٌ جميلةٌ دمّرها بشار الأسد؛ هكذا يصنّف الزبائن، الذين حافظوا على مزاجهم الثوريّ، الذكريات. فيما يحرص من استسلم للأسد على تداول أخبار "داعش": "في مقاهي الميادين يُمنع التدخين والنارجيلة ولعب الورق".

نازحون في مقهى مستحدث في حي الجورة - دير الزور

صورٌ من أرض الخلافة

ليست الحياة في ظلّ داعش شاقةً فحسب، بل هي غريبةٌ كذلك. فتحايل السيد (م)، وهو صاحب دكانٍ في سوق منبج، على بند التدخين، يحمل كثيراً من الصبيانية في سلوك الرجل الذي جاوز الخمسين. إذ يتحايل (م) على قانون عقوبات داعش ببضع خطواتٍ فقط يخطوها من واجهة الدكان، ليلوذ كمراهقٍ في حيّزٍ خلفيٍّ ضيقٍ-يفصله لوح خشبٍ رقيقٌ- من دكانه. ليشهق، خلال عدّة ثوانٍ، شهقاتٍ عنيفة من سيجارته قبل أن يطفئها مؤقتاً ويعود مبتسماً الى الواجهة. لقد كفّ (م) عن الانشغال بشوقه إلى السيجارة خلال ساعات عملٍ طويلة، بانتظار العودة إلى البيت، بعد أن تعلم كيف يمارس التدخين ويخفي هذه المعصية وهو في دكانه في السوق، وعلى عين جنود الحسبة.

يتساءل مدخنٌ عجوزٌ، صودرت علبة تبغه على حاجز يتأمّره سعوديّ: " يا ابن أخي؛ هل جئت من السعودية إلى هذه القرية في منبج لكي تأخذ باكيتي؟!". يضحك السعوديّ ويدعو للمدخن العجوز بالهداية.

❖❖❖

بين المغرب والعشاء، وفي مسجدٍ من مساجد الطبقة، يجيب شرعيٌّ مهاجرٌ عن أسئلة الحضور. يقلّب الشرعيّ بضع قصاصات ورق خُطّت عليها الأسئلة، ويستنكر متألماً إعراض الناس عن الدين: "سؤالٌ واحدٌ عن الحلال والحرام، والباقي شكاوى على جنود الدولة!!". الشكوى الأولى: على حاجز الصفصاف، وعندما تأخرت في إخراج هويتي، صاح بي ولدٌ يحمل بارودةً أطول منه: استح على شيبتك وطلع الهوية ولا تكذب. الشكوى الثانية: دفعني شرطيّ المحكمة الإسلامية وهدّدني بالجلد لأنني حاولت مقابلة القاضي. الشكوى الثالثة: بيني وبين جاري مشكلةٌ قديمة. وعندما سيطرت الدولة على الطبقة بايعكم ليستقوي عليّ. ومنذ ذلك الوقت وأنا أتلقى التهديدات منه بأنه سيصلبني بعد أيام قليلة على دوّار الشرطة العسكرية. تنتهي الشكوى بطلب نصيحة: ماذا أفعل يا شيخ؟

يا أخوة -يقول الشرعيّ- يمكنكم أن تردّوا فوراً على أيّة إساءة. ولا تخافوا من سلاح الجنديّ فهو لا يستطيع إطلاق النار إلا بأمر. واعلموا أن سلوكات هؤلاء الجنود أخطاءٌ فرديةٌ يتحملون هم مسؤوليتها ولا تتحمل الدولة ذلك. ذات مرة نهرتُ أحد الأخوة الأنصار عن تصرفاتٍ خشنةٍ يقوم بها في حقّ الناس فأجابني: الناس هنا فاسدون بالأصل يا شيخ. أنا منهم، وأعرف أن اللغة الوحيدة التي يفهمونها هي لغة القوّة.

❖❖❖

في لحظة صفاءٍ، أمام مطعم للوجبات السريعة قريباً من دوار النعيم في الرقة، يفضي مهاجرٌ ليبيٌّ لصديقه الأنصاري بمكنونات نفسه: ظننت، عندما تركت بلدي، أنني سأكون محبوباً جداً في أرض الشام، وسيرحّب بي أيّ شخص بـ"أهلاً بالمهاجر". لكنني، وللأسف وسبحان الله، اكتشفت أن الناس هنا يخافون مني فقط.

جنديان من "الحسبة" في شوارع الرقة

مجلة عين المدينة | نصف شهرية سياسية متنوعة مستقلة

- لا تعبر المقالات المنشورة عن رأي المجلة بالضرورة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

فيس بوك facebook.com/3aynAlmadina
تويتر twiter.com/3aynAlmadina
www.3ayn-almadina.com | info@3ayn-almadina.com

الجسر اليوغسلافي... قتيلٌ بين الضفّتين